ثنايا مدحه لرسول الله ﷺ تصويراً فنياً بارعاً، وجسد الأهوال التي يتعرضون لها، فمثل حالتهم بحالة ركاب سفينة تتقاذفها الأمواج العاتية وتزلزلها، فيأخذ الهلع منهم كل مأخذ، ويكسو وجوههم بشحوب وصفرة، ويدب اليأس إلى قلوبهم، آنئذ تند منهم صرخة الاستغاثة وهي عند الشاعر استغاثة بأبي الزهراء - فتنقلب الحال رأساً على عقب، وتسكن الأمواج وتغدو نسيماً عليلاً، ويبادرهم لطف الله - من يمن أحمد - فيعيد إلى قلوبهم الأمل والحياة.

يقول:

ويـــارب عنـد الـقـبـر قـبـر محـمـد
دعـــاء قـريـح المـقـلـتـين سـلـيـبِ
تـرفـق بـقـومـي واحـمـهـم مـن ملمة
لـقـد نـشـبـت أو آذنـــت بـنـشـوبِ
تـدفـعـت الأمـــواج والـلـيـل كـافـر
وهـــب جـنـون الـريـح كـل هـبـوب
رمـى الـيـم أنـضـاء الـسـفـين بمـارد
مـن الـيـم تـيـاه الـحـتـوف غـضـوب
يـزلـزلـهـا يمـنـى ويـسـرى مـزمـجـراً
ويمـضـغـهـا مـن هـولـه بـنـيـوب
يـرقـصـهـا حـيـنـاً وحـيـنـاً يـرجـهـا
ويـوجـز حـــالـيٌ هـــدأة ووثـــوب
وتـرفـعـهـا عـجـلـى وعـجـلـى تحـطـهـا
لـعـوب مـن الأمـــواج جـدُّ لـعـوب
وأيـقـن أنـضـاء الـسـفـيـنـة بـالـردى
يـطـالـعـهـم في جـيـئـة وذهـــوب
ولما استطال اليأس يكسو وجوههم
بـألـوانـه مـن صـفـرة وشـحـوب
دعوا: يا أبا الزهراء والحتف زاحف
عـلـيـهـم لـقـد وفـقـتـم بمـجـيـب
فـأسـلـسـت الـريـح الـقـيـاد كـأنـهـا
نـسـيـم هـفـا مـن شـمـأل وجـنـوب
وبـــادَهَ لـطـف الله مـن يمـن أحـمـد
بـــردٌ عـلـى عـري الـرجـاء قـشـيـب

ورغم أن الشاعر صرح بأن الإغاثة كانت لطفاً من الله، جرت على يد الرسول ﷺ فإنه قد تطرف عندما أوقف الركب على أبواب رسول الله ﷺ وجعله مجيباً لهم.

وبعد:

فهذه ملامح سريعة من بعض الخصائص التي تميزت بها المدائح النبوية عن المدائح العامة، وثمة ميزات أخرى أكثر وأكثر يسجلها الدارس عندما يعكف على شعر المدائح النبوية التراثية والمعاصرة، وسيجد في المدائح المعاصرة، بالذات آفاقاً لم تصل إليها أقلام الباحثين بعد■

في سرب أحمد

شعر: بدر الحسين
سورية

يا روحي الحيرى أفيقي وابسمي
أبصرتِ في نشر الخزامى بلسمي
جدي المسير ورفرفي في دوحة
وعلى خدود الورد حطي وارتمي
فلقد ملأت من الحنان تشوقي
فآفاق في نفسي بريق الأنجم
وقرأت في الإحساس لهفة عاشق
سكن الهوى بضلوعه والأعظم
وتحدرت من مقلتي درر التقى
فتمزقت حجب السؤال المبهم
وإنجاب عن وجه الشموس كآبة
وافترَّ عن ثغر الجراح تبسمي
حتى سما كالبدر طير مشاعري
جذلان يرتع في رياض الأنعم
فوجدتني في سرب أحمد طائراً
يشدو بآيات الكتاب المحكم
ويوحد الديان في عليائه
وتراه بين مسبحين وصوم
لمحمد أهدي الصلاة وخافقا
بالحب موسوم الجناح متيم